(١)

الحق والعدالة

محاضرة بدار نقابة المحامين

١٣ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ - ٢ ديسمبر ١٩٦٠ م

(الكلمة التي ألقاها السيد المستشار الجمهوري بإدارة قضايا الحكومة في صالة المحاضرات بدار نقابة المحامين)

دعـــوة وعنـــوان

أبنائي إخواني أساتذتي سادتي سيدي النقيب..

باسمكم وباسم الحق فيكم نتوجه إلى الحق معنا يقومنا ويسمعنا حقا واحدا لا يتجزأ ولا يتعدد. نحن به أحياء وبدونه أشلاء. به معنا نقوم، وإليه فينا نلجأ، وبه علينا نستعين، وله قيوما على قيامنا نكبر، وعنا ننزه ونكبّر.

يسرني أن أتحدث اليوم في هذه الدار وقد طالت غيبتي عن الحديث فيها، إذ كان آخر ذكرياتي بالنقابة ودارها وناديها أيام اشتركت مع الأعضاء زملائي.. أعضاء مجلس النقابة، وأنا أمثل بينهم المحامين الشبان مع زميلي الأستاذين اسطفان باسيلي وإبراهيم عبد الهادي مع سائر الزملاء في حفلة وضع حجر الأساس لهذا المبنى، وقد تشرف بوضعه اعترافا بمكانة المحامين رأس الدولة وقتئذ وملك البلاد.

ويضاعف من سروري أن أتحدث اليوم عن موضوع آمنته محاميا شابا بكل أعماقي، إيمانا كان كامنا وراء كل نشاط ظاهر لي. وكان لي حظ وشرف الترجمة عنه وقتئذ في ثوب موضوع الوقت، وهذا سر ما صادفته مما سماه الآخرون نجاحا في نشاطي وأحاديثي نشاطا لم أغنَ منه لأنه كان خالصا لوجه الحق. وإني إذ أتحدث به في هذه الدار الآن إنما أحقق لنفسي أمنية طالما ساورتني، فالمحامون زملائي وإخوتي وأهلي ودارهم داري، فأنا بينهم في أهلي وفي دارهم في بيتي. فإذا كنت بينهم بالأمس زميل نشاط في المهنة وفي القومية والجهاد السياسي والاجتماعي فما أحراني أن أكون اليوم معهم زميل نشاط البحث عن الحق والعدالة في دائرة الحقيقة، وهي ما وراء ظاهر المجتمع الذي نعيشه، ونجهل الكثير من علل مظهر التواء الأمور فيه.

عندما طلب إليَّ أخي وزميلي السيد النقيب أن أكون أحد المتحدثين في ندوة هذه الدار رحبت بالطلب رغم اعتيادي قصر أحاديثي على جماعتي في الجهاد الروحي، ورأيت فيه أمرا من السيد النقيب لزميل له من المحامين، فلست غريبا عنهم، ولم أفارقهم بعملي الجديد في المهنة إلا بقصر وكالتي على عميل واحد مفروض فيه الإنصاف هو الدولة. ولكني اعتذرت أن يكلفني بحث مهني وبين زملائي من هو أقدر مني على الخدمة في هذا المجال. وطلبت أن يدور حديثي في موضوع اجتماعي، وأن يختار هو عنوانه فاختار أن يكون عنوان الحديث (الحق والعدالة)، فكان توفيقا له وجميلا منه أن يختار هذا العنوان أو هذا الموضوع فلسنا في هذه الدار إلا في بيت من بيوت الحق والعدالة. ولسنا فيها متحدثين أو عاملين إلا جنود الحق والعدالة.

وفكرت هل عنى السيد النقيب أن يكون موضوع الحديث في مجال الحق والعدالة من مجال التسامي في النظر المهني؟ أو في مجال أهداف السياسة والاجتماع؟ فقلت لنفسي إن الزملاء مني أقدر على التحدث في هذه المجالات أيضا ولم تعد لي هوية فيها كما يعلم. إذن فلأتحدث عن الحق والعدالة في المجال الواسع، في الوطن الكبير، في المجتمع المتناسق، في الإنسانية الخالدة، في الذات البشرية، في مجتمعها من الأعضاء والخلايا، في روابطها العالمية بعوالم مجتمعها الأزلي، وتناسق مجتمعها الوجودي بعوالمها الأبدية، تحت زعامة من يسوس هذا الوطن الخالد قائما على كل نفس بحقها منه، وبعدلها بما كسبت، وتمثيل هذا الوطن من عالم كل ذات لصاحب السيادة عليه، في مجتمع هذه العوالم بصفات كل نفس علما على قيامها بمعلومها من العليم القيوم بكل نفس.

هل إذا تحدثت عن الحق والعدالة في هذا المجال وعلى هذا النحو أكون مغربا وبعيدا عن خدمة الحق والعدالة المهنية؟ أو خدمة الحق والعدالة الاجتماعية والسياسية؟ لقد تساءلت بهذا لنفسي فوجدت أن الحق والعدالة المهنية، والحق والعدالة الاجتماعية لا يستقيم لهما أمر في رجل المهنة، ورجل المجتمع المجند لخدمة الحق والعدالة في مجتمعه الصغير أو الكبير، إلا إذا كان الحق، وكانت العدالة لهما موضع في ذاته لذاته، وفي ضميره لضميره، وفي نفسه لنفسه، وفي إدراكه لإدراكه، ففاقد الشيء لا يعطيه. وإنني إذا تحدثت على النحو الذي قد يكون غريبا على سامعي، فإنه لن يكون غريبا عن مجال خدمة الحق والعدالة حتى على ما يعرفها مجتمع الناس أو تعرفها بيئة المهنة.

وقلت إذا لم يكن جنود الحق والعدالة - على ما نصفهم في مجال المهنة والمجتمع - أهلا لسماع حديث عن الحق والعدالة في جوهر الحياة، فمن هؤلاء الذين يكونون أهلا لاستماع مثل هذا الحديث؟! إن زملائي ولا شك - وهم أساطين التفكير والتعبير عن الأفكار هم مصدرها أو صَادرة من الآخرين - هم أقدر الناس على فهم مثل هذا الحديث عن جوهر أنفسهم أو جوهر النفس، وهم أصلح الناس

للتخلي عن التعصب للفكر الذاتي إلى القيام في الفكر الغيري، والتعبير به لعرض قضايا الفكر الإنساني على بساط التقدير وتحت مجهر النظر.

إذن فلأتحدث إلى إخوتي في بيتنا وإلى زملائي في عملنا عن الحق والعدالة في العالم الكبير من ذات الإنسان، وفي الإنسان الصغير من ذات الكون، في ساحة البشرية التي لا يحدها الزمن، والتي هي مصدر لعوالم منها تبدأ وجودا ومولدا، وإليها تنتهي نسبا وتبعية.

فلأتحدث عن الذات البشرية نواة لكون، وعن الروح البشرية نواة لحق، وعن العقل البشري نواة لرسالة، وعن النفس البشرية نواة لمجتمع. فلأجدد لإخوتي في بيتنا ولزملائي في عملنا رجاءهم في الحياة، وأملهم في النور، وسعادتهم في الذات، وسكينتهم في النفس، وانطلاقهم وحريتهم في العقل. فلأهيئ لهم الفرصة ليحركوا أيديهم فيرفعوا الغشاوة عن عيونهم لينظروا جمال الحياة في أنفسهم، وجمالها المفقود عند المتأمل فيما حوله إذا غاير الوجود معناه هو من الوحدانية عنده.

أي عدل وأي حق!!

إن المحاماة علمتنا كيف ندافع عن المظلوم، وكيف ندفع الجور عن المجور عليه، وكيف نرد الحق إلى صاحبه، وكيف نعيد الحرية لمن فقدها، وكيف نعيد الأمور إلى نصابها. فنحن المحامين جنود الحق والعدالة وهذا نخرنا وشرفنا. ويشرفنا أن يكون الشرف مهنة لنا. ولكن أكبر من هذا ينتظرنا. فأي حق وأي عدل هذا الذي يشرفنا ونقوم جنودا له؟ إنه الحق والعدل في حياة السراب لمجتمع من فاقدي النظر في بيداء الوجود. إنه العدل الصبياني في تمثيلية التواجد المسرحي للعمل المؤقت لأعضاء الفرق الفنية من الأبطال والكومبارس والنظارة في روايات تراجيدية أو كوميدية أو استعراضية أو ما إلى ذلك، تمثل على هذا المسرح الصغير من قارب الأرض السابح في الفضاء لبيت يتنزه في بحر الأثير.

قد يكون العدل الحقيقي على هذه الأرض في اختلال العدل المسرحي، كما قد يخفي اختلال العدل المسرحي وراءه حقيقة كبرى للعدل الحقيقي.

نعم نحن المحامين نؤمن بالحق، ونؤمن بالعدل، ونحن أقرب الناس إلى الحق وإلى العدل، ولكن أما آن لنا أن نتساءل بيننا عن الحق مفقودا؟ وعن العدل موؤدا في أنفسنا؟ أين هو الحق يقوم به قائم للحق؟ وأين هو العدل يعدل به عادل للعدل؟ ما نوع الحق الذي نطلب أن نعرف أو أن نقيم؟ وما نوع العدل الذي نطلب أن نجري أو أن نشهد؟ في أي مجالٍ نريد الحق! وفي أي موضوع نريد العدل؟

إنا نعيش في مجتمع يرى أفراده الحق في اغتيال حقوق الآخرين وإن كانوا إخوة في بيت، والعدل في سلب العدالة للآخرين وإن كانوا طوافا لبيت. وهذا مجالنا على المسرح الصغير، وعملنا المؤقت في تمثيلية الحياة الوقتية. وهذا نشاط لا يكفي النفوس والعقول والقلوب الكبيرة. وحتى إذا ما حاولته وفق نظرها العميق ردها من ورائه العدل الحقيقي والحق العادل بسلطانه فسجدت للواقع السطحي، ومنه كسبت حسن الفهم وحسن التقدير وانتهزت فرصة الكسب للحق في حقيقته، وللعدل في طبيعته من مظهر الحياة عن جوهر الحياة.

إني سأتكلم إليكم اليوم عن الحق الخالد، وعن العدل السرمدي في المجال الأبدي. سأتكلم عن الحق والعدل في الإنسان. سأتكلم عن الذات هيكلا مقدسا للحق والعدل. سأتكلم عن النفس خادما أمينا للعدل. سأتكلم عن العقل نائبا أمينا للحق. سأتكلم عن الروح سر ما وراء العقل والنفس والذات.

فاقد الشيء لا يعطيه

أيها الإنسان، أيها العنوان، أيها العالم، أيها البيت للحق، أيها القانون للعدل، إذا كانت الحقيقة مهيضة الجانب في بيتها منك، فكيف يقوم بك لله حق، وفي الناس عدل؟! وإذا كانت العدالة مضطربة في بيت العدل منك، فكيف يستقيم العدل فيك، ويظهر شرف العدل بك؟! وإذا كانت نفسك فاقدة لحقها في مملكتها، فكيف تعين نفسا على استرداد حق مفقود لها؟! وإذا كانت نفسك تشكو مما يقع عليها من أعباء الظلم، فكيف ترفع هذه الأعباء عن غيرها من نفوس الآخرين؟!

أيها المحامون، أيها الجنود للحق، أيها المصابيح للعدل، إن عبأكم من خدمة الحق والعدل مضاعف، إذ أنكم اتخذتم شرف الخدمة لأسمى ما في المجتمع الإنساني، من أوصافه من الحق والعدل حرفة لكم.. فأنتم بهذا الاحتراف إلى الذروة أو إلى الحضيض من المجتمع المنتظر، فضلا عن المجتمع القائم. إن في احتراف الخدمة للحق والعدالة مدخل إلى صومعة ناسك، الأرض صومعته الضيقة، والسموات مجال انطلاقه وعمله.

إذا شَرُف الناس في كل مهنة بصفة كريمة من صفات الإنسان، فخدام الحق والعدل ورعاته وحماته ذهبوا بجماع هذه الصفات بقيامهم في خدمة ذات المجتمع، بتوفير أسباب الحق والعدالة لمفرداته، وجماع ذاته.

إذا كان المجتمع البشري بجميع مفرداته وبجميع مجتمعاته مدعو من طبيعته، ومن فطرته، ومن آدابه وتكاليفه بالأديان والعقائد إلى احترام المعنى الإنساني فيه، وإحياء معنويات القلوب، ومثاليات العقل، وكبح جماح النفوس، وتكييف نزواتها، إلى مرجو الكمال لغرائزها في أحسن تقويم، بمفارقة

ما طرأ عليها من التواجد أسفل سافلين، فإن جنود الحق والعدل من المحامين يتضاعف عبؤهم، كما يتضاعف وزرهم، في معاملتهم لأنفسهم وعقولهم وأرواحهم، وهم في شرف الخدمة للنفوس والعقول والأرواح بحكم عملهم وامتهانهم.

لو عرف الإنسان نفسه لعرف حقه ووجوده

إن في مولد كل إنسان على ظهر هذه الأرض على الفطرة، مولد للحق وبداية للكون، وظهور للغيب. والحق الوليد إما إلى نمو فإشراق فظهور فانتشار، وإما إلى ضمور وخمول واحتجاب فغياب.

إن حياة الحق في حركته ونشاطه الحيوي في قيومه بذاته. فإذا رجع لمصدره من الأكبر دون إحيائها فقد عدل عن المولد. وكل كائن بشري لا مولد له بالحياة إذا لم يتخذ الحق الوليد فيه له مستقرا بالنمو في عالم ذاته. فكل غافل عن الاستجابة بمعناه لمعاني الحق فيه غافل عن فرصة الحياة له. والنفس البشرية في الجهاز البشري إنما هي عالم وليد لقيام الحق والحياة من العالم الأكبر، وهي مظهر لنفس الحق بقيامه متكنزا بحجاب نوره، وبحجاب ظلامه من عمله. إن جديد الإنسان على مثال من قديمه الأزلي. إن معرفة الجديد للقديم إنما هي في معرفة الجديد عن نفسه من الحقيقة معرفة لا تتناهى، في وجود لا يتناهى، ونمو لا يتناهى.

إن في الإنسان كعبة أو هيكل أو مدينة مقدسة لا يفقدها ولا يوجدها ولكن يكشفها ويتواجدها. هي القلب. إنه نقطة دائرته من ذاته ومن معناه بهذه الذات. إليه يتجه بكله، ومنه يستقبل من الإحاطة به فيضه على كله. إنه السراج في مشكاة صدره، منه زيته بعمله، وإليه نوره بكسبه.

إن الذي أوجد الإنسان لم يُظلم عليه كيانه، والذي أوجد من أوجده لم يمنعه عنه عنوانه. فالأعلى غايته، والمنظور نهايته. إن المثل المعطاة من رب الناس برسله هي مشهود الحق لهم، إليها منتهاهم وربها لهم ربا مرتضاهم. ومعاني الإنسان لهم حقهم وبشراهم.

فإذا كانت النفس من الحق مظلومة في معبدها من الذات، محرومة من قبلتها من القلب، وقد ضاقت بظلام الأعمال صادرة من هيكلها، فإنها تنتظر بفارغ الصبر لحظة انطلاقها من هذا الجسد ليكون لها لمعناه وما صدر منه معها، موقف من عتاب، ومن جزاء وحساب مرتدة إلى مصدرها، راجعة إلى جوهرها، ولم يكسب معناه معناها، ولم يصبغ هيكله باسم مبناها.

إن النفس القائمة في قيام البشر، الكائنة في كيانها من البشرية، قد ظلم البشر معناها في تجاهلها من الحق فظلموها، قبروها بالحياة، ما حرروها. وهي فيكم على ما هي فيهم، وهي تجأر إليكم بين صدوركم

جنود الحق أن تحرروها، أن تطلقوها، أن تحيوها. إنها لا تجد من بينكم من يعينها على أمرها، من يمكنها من بيتها تحييه، ويقيمها في هيكل قدسها بحقها ترتضيه.

فيا من تقومون في شرف الدفاع عن كل مظلوم، هلا قمتم في شرف الدفاع عن مظلوم أنفسكم؟ تلاقوا معها في سجنها بين جوانحكم، تلقوا منها سرها ونجواها، واكتموا بسر مهنتكم أسباب بلائها وشقواها. إنكم إن أنصفتموها تعلمتم جديدا في إقامة العدل، وإقامة الحق، وعدلتم في أمر جوارحكم ووظائفها، وسعدتم في أمركم من حق أنفسكم، وأضفتم إلى قوانينكم الوضعية قوانين الطبيعة القدسية، وإلى فقهكم سنن الوجود الكونية، فاتسعت بذلك العقوبات التي تطبقونها في مجالاتها، ووصلت يد القانون الجنائي إلى مستحق الجزاء، فعرفت ما عناه القانون السماوي بمعنى قوله من قتل نفسا مؤمنة بغير نفس من الحق فكأنما قتل الناس جميعا، لأن القدرة خلقت الناس جميعا من نفس واحدة. وهي بدائم فعلها كما بدأت أول خلق من نفس واحدة تعيد بدأه من نفس واحدة. وكل نفس لها هذا الحق، وهذا الوصف. وكل كائن بشري على نفسه بصير بهذا المعنى.

فمن قتل نفسه بغفلته وجهله، ولم يبعثها بالحق من نفس قدوته ومثاليته من رسول معتقده ومتابعته ومن تابعه على معناه من نفسه، فقد أخطأ في الانتفاع بالقوانين السرمدية للوجود، وأخطأ في حق نفسه، فاستحق من جوهر نفسه الجزاء الصارم، بعد قيام الحجة عليه، وقد كشف له القناع عن أمره من الحقيقة، المرة بعد المرة، في حيوات متعاقبة، بين الغطاء والسفور، من عوالم الروح والكواكب.

إن من لم يرد نفسه إلى آدمها بصلته بشهيد جماعته على معتقده، فقد قطعها عن بحر الحياة الزاخر. فهو بفعله آثم في حق معناه من الحياة. إن قديم الإنسان بالحق يصل حاضر الإنسان المنبئ عنه، ويتصل بمن اتصل به من معاني الإنسان في البشرية عن طريقه. إن الحلقة الوسطى من حاضر الإنسان بصلاتها بقديمه وصلتها بحاضره ومستقبله من معانيه، هي أساس العقائد الدينية في جميع الأديان، وهي أساس كسب الحكمة عند جميع الحكماء في جميع العصور. وهي الوسيلة المعنية بالتوسل. وهي مرآة الصفاء يرى فيها جديد الإنسان حقه من قديم الإنسان.

هذه هي قضية أنفسكم أيها الرفاق، تقام عليكم فيكم، هيكلا للعدالة. وهي القضية المرفوعة منكم من قديم، ولم تفصلوا فيها بعد لكم وعليكم. وإن فصلكم فيها لكم أو عليكم إنما هو بداية سعيدة لكم، يوم تذهب بكم معرفتكم فيكم إلى العلم بما حققتم لأنفسكم، وما تخلفتم عن تحقيقه لها، وهو أمر يقوم لكم في عالم قيامكم هذا إن أردتم وله عملتم. وهو ما ينتظركم مجهولا عليكم يوم تفارقون هذه الحياة كرها عنكم.

صدقوني في هذا واعملوا له فإني لأطمع في اليوم الذي تصدقون فيه بذلك وتعملون له، فتتبنون هذه القضية للناس، كما تتبنون قضاياهم في تافه الأمر من دنياهم، بعد أن تكونوا قد نجحتم فيها من أمر أنفسكم.

الظاهر مرآة الباطــن

إن جهاز العدالة الإنساني، على ما ترونه من ظاهر الحياة من أمركم وأمر الناس، في تشابكه وامتداده، ما هو بما يشمله من مجال تطبيقه ومجالات قيامه إلا تعبير عن جهاز العدالة الإنساني في المجال الحيوي لإنسانية الحياة الحقيقية. ألم يقل لنا إمام المبلغين وكمال المهتدين وأولية العابدين (الظاهر مرآة الباطن)[1]؟ فإذا كنتم ركنا ركينا في جهاز العدالة الظاهري فلمَ لا تفكرون أن تكونوا ركنا ركينا في جهاز العدالة الحقيقي للإنسانية الحية؟

إن جهاز العدالة الحية للإنسانية الحية يحيط بالأرض وأهلها شمولا، ويمتد إلى أجواز السماء وأهلها، كما يمتد إلى أعماق الأرض وأهلها. ولا تستطيعون ولن تستطيعوا أن تقوموا في شرف امتهانكم من العمل لتحقيق العدالة، وإقامة الحق، ورد بحافل الظلام من الظلم الصادر من البشرية من بعضها لبعض، ما لم تستكمل عمد الحق والعدل كيانها من تناسق مدرك بين ظاهر أمرها وباطن أمرها، حتى لا تختل موازين العدل باسم الحق، وتقام معابد الظلم باسم العدل.

إذا كانت عمد وأسس الحق والعدل في الناموس الظاهر للمجتمع وحدة متماسكة، فإن عمد وأسس الحق والعدل في كمال هيكله بشقيه من القوانين الوضعية والقوانين الفطرية وحدة متماسكة كذلك. كيف يطلب المحامون تطبيق قانون وليس هناك قضاء؟ وما قيمة الحكم إذا لم توجد سلطة مُنفذة له! وكيف تنفذه سلطة قضائية لا تسندها السلطة الإدارية؟ وكيف يطبق القضاء قانونا يمثل العدل ولا وجود له لانعدام قيام سلطة تشريعية؟ وما قيمة سلطة تشريعية لا تتمتع بولاء السلطة التنفيذية؟ وكيف تتصف سلطة بأنها سلطة تنفيذية ولا يتواجد بجوارها سلطة تشريعية وأخرى قضائية؟ وإذا قامت سلطة تشريعية في مجتمع لا قضاة له فما قيمتها؟! إن هذا الذي نشهده في هذا التماسك في جهاز العدل الوضعي يقابله ما يماثله وراء ما نشهده من نظام ودقة في سير الأحداث والكائنات.

وما نشهده من قوانين فطرية حاكمة للطبيعة بأفلاكها وأجرامها وذراتها في حركتها هو بعينه ما يحكم سير الأمور بين الناس، كأجرام إرادية يخفى عليها ما وراء الظاهر من إرادتها المكيفة لحركاتها، ويظهر لها كامل الحرية والاختيار فيما تتجه إليه بهذه الإرادة.

والواقع أنها كاملة الحرية والاختيار، إذا تكشف التناسب والارتباط بين منظور الحياة للناس وباطن هذا المنظور لهم، المحكوم بقوانين أخرى غير ظاهرة ولكنها قائمة هم مصدرها بأثرها الظاهر، في تناسق وتناسب مع ظاهر الأفعال ومبرراتها وآثارها ومعقباتها.

القانـون يحكـم الوجـود

إن إقامة الحق ونشر العدل في مجتمع موصوف عند أهله بالمدنية أمر يستلزم ويستتبع قيام وانتظام السلطات فيه، وارتباط المجتمع بها.. وبذلك يكون لهذا المجتمع وحدة من كينونة، وانتظام في حركة الحياة الرتيبة. فإذا أردنا أن تكون تشريعاتنا الوضعية مستقيمة، وفي أكمل صورها، وسلطاتنا متناسقة متعاونة في أكمل أحوالها، فلدينا إلى ذلك ثلاثة مصادر من الطبيعة تمثل الفطرة السليمة للمجتمع المثالي، أولها ما يتيسر لنا تناوله من منظورنا، وما يمكن أن يدخل تحت إدراكنا وتقديرنا ومكنتنا، وهي دراسة أخلاق وأحوال ونظم الحياة في الممالك الحيوانية من أسود الغابة إلى الحشرات والطفيليات. ولعلّ مملكة النحل، ومملكة النمل، وممالك الطيور، في حال من النظام والنشاط يعطي الإنسان أروع الدروس في النظم الاجتماعية، والنشاط الفردي والجماعي، والسعي لبيئة والتخلص من بيئة. وقديما تلقى الإنسان الأول أول دروسه عن الغراب. ولم يستح الله أن يضرب للإنسان مثلا بعوضة فما فوقها. وخص سُورًا بأسماء الحيوانات إشارة إلى انتظام الحياة الحيوانية في ظل الحق والعدل، المقام بالقوانين الفطرية. وقد جعل من الإنسان بهيمة الأنعام، ودابة الأرض المفضلة بأمانة العقل، والمسلحة بقدرة الإرادة، وحكمة التدبير...

والمصدر الثاني هو دراسة الطبيعة المحيطة، في روابطها وانتظامها، والطبيعة تحت النظر وتحت المجهر، في دقتها وجمالها وتناسقها وانتظامها، والعمل على محاكاتها. أما مصدر المصادر والكتاب الجامع الذي لم يفرط فيه مبدعه من شيء، فهو دراسة الإنسان لنفسه تشريحا، ووظائف أعضاء، وخلق، وحياة، وكسبها وفقدانها، ونشأتها ومواصلتها، ومعناها وجهازها، وفلكها وعوالمها، ونظامها. وأخذ نظمه الاجتماعية مما يقوم فيه من نظم فطرية.

إن المقياس الصحيح لمدنية مجتمع بشري، إنما هو قياسه على ما أفاده من نظم الجماعات الحيوانية، أما المجتمع الراقي في نظمه فهو ما يصح قياسه على قوانين الحياة للنبات والفلك، وهو في أرقى صوره إذا صح له القياس على تحليل الإنسان لنفسه في مفرداته، صورة جامعة للعالم الكبير، في هذا التمثال الصغير.

الإنسان فرد وجماعة هو عنوان الحق

إن الإنسان في ذاته هو المثل المضروب لجنسه على القدسية المعبودة، والألوهية المفقودة، من الفطرة الخالقة التي هو أيضا لها مثال وبها حال. إن الإنسان هو شقي الغيب والشهادة.. فهو يمثل الشهادة بالمعلوم منه، ويمثل الغيب المقدس بالمجهول عنه. وشهادته إلى غيب، وغيبه إلى شهادة. فكله غيب إذا غابت الشهادة. وكله شهادة إذا حضر الغيب.

إن الإنسان كفرد حي، هو مجتمع بقديمه وحاضره ومستقبله. والمجتمع المنتظم على قوانين الفطرة، هو فرد له نواة منه حولها يطوف في وجدانه، ولها يستقبل في صلاته بقلبه وبنيانه. وتأخذ مفرداته أماكنها فيه أعضاء وأحشاء له، لخدمة وظائفها من بنائه المتوحد بواحده، المتعدد في مفرداته بتجدده.

إن المجتمع المثالي هو المجتمع الموجه بمحصلة الجماعة توجيها غريزيا وهو ما لا يتوفر إلا لمجتمع كانت الروح المتحررة في مفرداته مادة التئام أفراده بقيامه فردا بالحق المعتقد في كيانه لهم المجتمع بوحدة دائرته، على مركز نواته الحية، وبقيامه بهم جماعة تعددت وجوهها وتوحد قلبها.

هذا المجتمع يعرف كل فرد فيه التزاماته وواجباته قبل أن يعرف أو يشعر بالحاجة للمطالبة بحقوقه إن كان لذلك محل فيه.

هذا المجتمع تُمحى الأمية فيه برؤية كل فرد فيه لنفسه مرآة صادقة لمجتمعه. فهو كتاب نفسه ونفسه كتاب مجتمعه. هذا المجتمع مهمة الحكومة فيه ميسرة غير شاقة فهي مهمة تمثيل الجماعة، في حركتها في ذاتها، وفي معاملاتها مع مفرداتها والجماعات الأخرى. إنه الحياة في الفرد الواحد بأعضائه وحركتها، وذاته وتنقلاتها، ووضع أحشائها الداخلة من حركتها الظاهرية.

أما الفرد الحي وهو مجتمع عبر الزمن فقد جعل في الأديان أساسها بقيام الحق على مفردات الناس بما كسبوا. أمَّا إذا صلح المجتمع ليكون فردا فهذا أيضا له وضعه في الدين، وهو تأسيس الدولة المستقيمة الذي يتبع قيام مجتمع مستقيم أسسه مؤسس الحكمة ومؤسس الجماعة. وقيام مثل هذا المجتمع يعتبر فيه معاني البعث لمفردات الأوادم في العصور السابقة وهو معنى الساعة إذا كان المجتمع مدرك لمعانيه من الوحدة، ومفرداته مدركة لما قدمت وأخرت في سلوكها وتطورها على نطاق واسع، وهو ما قام قديما في الهند، وأنتج فِرق البراهما، والسيخ، والطبقة الوسطى المختبرة. ووصف بخروج آدم من الهند إلى منطقة الشرق الأوسط، ليكون أبا لأنبيائه. وهو ما اعتبرت الأمة المحمدية بالرسالة الفطرية الأخيرة بداية فيه لأمر يجمع البشرية يوما إذا ما تجدد لها الإنسان المحمود في قدسي فطرتها. ونرجو أن تكون الصلاة الروحية التي تنتشر لتعم البشرية بشرى وحدة الإنسانية على أمر واحد في شئونها

الحاضرة والمستقبلة بوحدة ماضيها، محققة في عالم الروح، مبعوثة بالمحبة في أبنائها من عالم الشهادة. وهو ما سوف تبرزه الصلات الروحية من وقوف الأنبياء صفا في قضية السلام على الأرض.

استشرافك للحق هو قيام لك في قضايا الدين

إن كشف القناع عن أسرار الحياة في الفرد والجماعة هو أساس الأديان جميعا. وتحقق هذا الكشف في سلوك الفرد وفي عقائد الجماعة هو معنى الحساب والساعة والقيامة. واستمتاع المحصلة للفرد والجماعة هو ما نسميه الجنة عرفناها وقطفناها. وقيام المحصلة لحيواته بالجزاء هو إبراز الجحيم لأهلها ومستحقيها. إن الإنسان لا يجزى بالنعيم في حياة القيام عن فعل يأتيه في هذا القيام - وإن تحقق النعيم - وكذلك لا يجزى بالجزاء عن فعل يأتيه فيها وهو فيها - وإن تحقق البلاء -. إن كل ما يشعر به الإنسان في حياة القيام من نعيم أو بلاء إنما يقوم على أساس من الاختبار، ولكن هذا الاختبار في الوقت نفسه له رباط بماضي الحيوات لصاحبه، يقوم على أساس من قديم أفعال له يمثل معها بحاله الآن معاني العطاء ومعاني الجزاء. أما فعله في الحاضر فسيكون أساس اختباره في حياة لاحقة تسمى عند قيامها بمعاني البعث لحاضره بالعطاء والجزاء أيضا. واليقين بالآخرة عند من قام اليقين عنده إنما يقوم على أساس من إدراك معنى الآخرة لما هو فيه من الحياة بالنسبة لحياة سبقت، دخل اليوم هذه الحياة بكتابه الذي سبق أن خطته يمينه، وهو الكتاب الميسر له نفاذ ما جاء فيه.. لم يظلمه ربه ولكن هو الذي خط كتابه وظلم نفسه فيما لا يحب بما سبق أن أحب، وأنصف نفسه عطاء غير ممنون بما كسب فما يسره بما سبق أن صبر له.

المجتمع المثالي تقومه الروحية والشبحية في اتصال متصل ووحدة لا تنفصل

إن المجتمع المثالي الذي تعرف فيه مفرداته مواضعهم من الجماع، وتعرف الجماعة قيم مفرداتها منها، هو ما ينتظره مستقبل البشرية. وهو ما يعني بلوغ البشرية لسن الرشد. وهي بهذا الرشاد يستبعد عندها معنى السماء والأرض لما يقوم في الوعي البشري عن المعنى الإنساني يعمر الكواكب ويقوم العوالم الروحية، وبذلك تصبح الأرض موصوفة بالسماء على ما يجب أن تعلم كما تصبح السموات بأجرامها في معاني الأرض كذلك كما يجب أن تدرك. ويتطور الجنس البشري على الأرض كما تتطور بشريات عوالم الروح إلى حال يصح فيها اتصال واجتماع هذه العوالم بأحوالها ودرجاتها ومعارفها، يجتمع كل على شاكلته. وينتظم أمرها في الظاهر والباطن على من تأتمر بأمره ممن يبرزه قانون الرد للأعمال على أساس من معدلات جماعاتها، أوادم بعث على أبناء في طريقهم لمعانيهم النورانية والكمالية ليكونوهم.

من هذا كله يمكنا أن نكشف ما في الحياة في مجتمعنا على حاله من أسرار نفيد من معرفتها لأنها تنظم سلوكنا في قائم أوقاتنا. ويمكنا أن نحصل بعملنا على نتيجة مشجعة من كشف بعض أسرار السلوك، وهو ما تحاوله الرسالة الروحية في هذا العصر بمخاطبتها للعقل والضمير الإنساني، وما تهيئه للنفس من تلقي لهذا الخطاب في صورة انفعالات، ومشاهد، وإلهامات منظمة معللة، وهو ما تقدمه المدرسة الروحية كمعرفة في مطبوعات ميسرة منتظمة واسعة الانتشار. ليس المهم أن تقرأها ولكن المهم أن تحقق لنفسك شيئا مما يشار إليه فيها.

إن رقي الحياة وانتظامها في المجتمع البشري هو وسيلة فعالة لرقي الحياة الروحية له في مجتمعه الروحي. إن الحيوات الروحية للمجتمعات إنما هي مواصلة لما هي عليه أو لما كانت عليه في الحياة الأرضية. وليس لها تطور في حياتها الروحية عن طريق مواصلتها إلا عن طريق الصلات الأرضية بالبعث الذاتي أو البعث الاتصالي حسب الأحوال، ولا يخلو مجتمع من مدركين لقيمة العودة بالبعث الذاتي أو البعث الاتصالي كذلك. والبعث الذاتي هو العودة الكاملة للروح في جوار شخصيتها الجديدة. أما البعث الاتصالي فهو عن طريق الهيمنة على شخص من عالم البشرية عن طريقه يمكن للروح الارتباط بالحوادث الروحية الأرضية من الاتصال والتبعية بمن تنتظره مستويات عوالم الروح ما دون الملأ الأعلى من أوادم في كمالها تتواجد بإرادتها على ظهر أرضنا، يرون فيها وجه الله من أهل الملأ الأعلى.

فليكسب الفرد معاني الحياة

وإذا كان هذا هو حال المجتمع، لكسب مستوى من مستويات الحياة السرمدية فإن حال الفرد لا يخرج عن هذا القانون. فإنه يأخذ معه في الحياة الروحية ما يحيي من أعضائه وقلبه وضميره. ولا يحيا فيها إلا بما يحيي من صفاته حية في أبعاضه من ظاهر وباطن جهازه. ولا يحيا فيها بوصف الإنسان إلا بإحياء كامل مفردات ذاته التي قد يحييها متجمعة من حياة أبعاضها أو يحيا بأبعاضه في حيوات متعددة.

قد يستغرق إحياء حاسة النظر في الكائن البشري حياة أرضية كاملة، وكذلك حاسة السمع أو الشم أو الحس وما إلى ذلك. وقد يتواجد في الحياة البشرية بإحدى هذه الحواس أو الجوارح حية من قديم حياة له وهو ما تسميه المدرسة الروحية وسيط موهوب. وقد يحيي هذه الحاسة أو الجارحة عن طريق المجاهدة والتدريب وهو ما تسميه وساطة كسبية والحقيقة مع كل كائن بشري. وكل كائن بشري يصلح لأن يكون إنسانا كاملا. وكل كائن بشري صالح للحياة. والحياة القائمة للبشر إنما هي

حياة موقوتة ومعارة من جوهر الحياة قامت بأوادم البشرية. وجوهر الحياة هو ما عرفته الرسالات الدينية وعرفه مؤسسوها تحت عنوان (الله) بمعنى القيام الشامل الموجود الراعي الذي لا يغيب.

فإذا تعرّف الكائن البشري إلى نفسه فعرفها، وظهرت له التزاماته وواجباته فأداها، وتكشفت له معانيه وحقوقه فاستمتعها، فحرص على جوهر كيانه المدرك له، فقد سلك مسالك الحياة، وبدأ قيام الحق في نفسه، وبدأ انتشار العدالة في جوارحه وحسه. إن فعل ولهذا حقق صلح به لمحيطه مثالية للمثل الأعلى، وأصبح نبراسا يحتذى لمتابعيه من أهله ومن أهل الطلب للمثالية المرتضاة، متواصيا بالحق في معاني حقه، فينتشر الحق على هذا التصوير، ويقوم العدل في هذا التدبير.

ما هو الحق في طلبنا ؟!

إن هذا الذي أشير إليه وأشير على إخواني به، يجعل من الإنسان في كيانه نواة للحق أو نواة لكبير حقه. ويجعل للإنسان في وجوده كينونة أو نواة لكبير كونه. يقوم فيه الحق ويقوم به، وينتشر فيه العدل وينتشر به. فعن أي حق تريدون أن نتحدث اليوم وعن أي عدل؟ أعن الحق المفقود في الوجود الأرضي، والمرسوم في الخيال، والقائم في الأوهام! أم عن الحق والعدل الموجود في الإدراك للمدرك، وفي العقل للعاقل، وفي النفس عند النفس الزكية، التي ما خابت في مسعاها، وما شقي من زكاها، وما حيا من دساها!

عن أي حق تريدون أن نتحدث؟ وعن أي عدل تريدون أن نتناجى؟ وبأي أمر تريدون أن نتواصى؟ أعن الحق في مملكة النفس من ذات الإنسان، وهو في عقله وروحه وكيانه وحسه، به فيه يشهده على مرآة الوجود، أينما ولى فثم وجهه، وكلما أدرك نفسه آيته الكبرى، أدرك ما حوله من آياته، وكلما أدرك مظهر إرادته فيه وقدرته به، أحس بشمول إرادته، وعظمة قدرته من حوله، وعلم أنه ما علم فيما علم إلا من حكمته، وما نعم فيما نعم إلا من نعمته؟

إن إدراك الوجود قائما بالحق، وإدراك حركته قائمة بالعدل. الحق الذي لا يخلقه خلق، والعدل الذي لا يقوم عليه سلطان من شيء حق الله وعدل الله، كل نفس فيه بما كسبت ضنينة، وبما اكتسبت رهينة. وإنما هي أعمال الناس ترد إليهم بعدله في حدود عملهم وكسبهم من حقه، قائما على كل نفس بإحاطته ورحمته، ومن وراء كل نفس محيط بوحدانيته وحكمته. إن في معرفة الوجود بالحق والعدل، معرفة للحق المجرد والعدل المجرد. وعن هذا الحق وهذا العدل يطيب الحديث، ويذكر جوهر الحق والعدل وهو الله.

هذا هو الحق المحيط المنتشر، وهذا هو العدل القائم الذي لا يغيب ولا ينتظر. أما عن الحق والعدل يبدعه الخلق على مراد الخلق في غفلة عن إلحاق أنفسهم بحقها، وعن إقامتها بقيام الحق عليها، فهذا وإن حملوه اسم الحق والعدل فليس هو منه في شيء. ولكنه ألوان من أنفسهم في غفلتها، تبرز به بوهم سطوتها لغاية من إشباع لشهوتها في عاجل من غريزتها مفرطة في أمرها من حقيقتها. وذلك إلى حين. وما ذلك في حياتها الحقيقية إلا غفوات من الزمان تقابلها لمحات للمعرفة.

يتجمع الناس حول معاول هدم الحق والعدل الحقيقي باسم الحق والعدل الزائف من رجال احتراف العقائد واحتراف الاجتماع فيضلون طريق الحياة مع الضالين عنها، ويتخلون عن إدراكات عقولهم الفطرية إلى وهم مغانم ووهم محارم. فلا يهتدون إلى أنفسهم صوامع للحق المنفرد بالوجود والعدل الدائم للشهود. وبذلك تصبح معاول هدم الحق والعدل منابر لإقامة موهوم الحق والعدل، وسياط تسوق الناس إلى ساحة وهمية للحق والعدل، فيشهد المتأمل انفراد الحق والعدل المجرد بالقيام والعمل في الحرمان، انفراده في الوهب والإحسان كما يشهد ما يصدر من النفوس المنحرفة عن الحق والعدل مهما انحرفت، وما يصدر عن النفوس المستقيمة مع الحق والعدل، يتلاقى في النهاية على خدمة الحق والعدل إقامة وبيانا لأن الحق العام لا يغلب ولا يظلم ولا يخفى ولا يضيع. فهو القيوم على قيام الجميع في حدود ما يريد هو لخيرهم، وما يقوم بين الناس من مصدره في القيام عليهم إنما يقوم في حدود من روابطهم معه ومع الحق الأكبر في حدود تشريعه النافذ المرعي، (كيفما تكونوا يولّى عليكم)[٢]، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٣]، (رحمتي غلبت عذابي)[٤]

لنعمل من أجل اليقين ولإقامة الدين

فإذا تأملنا في هذا وتفكرنا فيه، كانت عناية الفرد فينا والفرد منا وحرصه على رباط الحق يقوم معه، ويقوم عليه ويقوم به، ومحاولته كشف قناع الحق فيه لنفسه بإرجاع البصر والبصيرة كرتين، مرة إلى داخله وأخرى إلى خارجه، مرة إلى ماضيه حتى إلى ما قبل وجوده وأخرى إلى مستقبله حتى إلى ما بعد وجوده، مرة إلى نفسه منعزلة عن الناس وأخرى إلى نفسه موصولة بالناس جزءا من الناس، لوجدنا أن الحقيقة إنما هي في إدراك الإنسان لا في مادياته، وعرفنا أنه لا يدرك من الحق في حاضره إلا بقدر ما أحاط به من الحق في نفسه، وأن هذا الذي يدرك قابل للنمو والزيادة دائما، وأن زيادته في كشف القناع عن المحاط به منه في قيامه، فهو الذي به ينمو إلى غيبه ومجهوله عليه، فليعمل على كشف قائمه لينمو، وليعمل على نمائه ليصفو، وليعمل على توثيق الوصلة والصلة بين قائمه به وقيومه عليه لينمو ما فيه من الحق فينتشر منه ويقوم به على طالبه. فإن فعل صلح لنفسه، وإن صلح لنفسه صلح لمن يعول من بيته، وإن صلح لمن يعول من بيته صلح بيتا لجمعه وقومه وأمته وبشريته وإنسانيته،

صلح لآبائه، صلح لأبنائه، صلح لأخلائه، لأنه للحق نسب وبالحق قام، وللحق عمل، وبالحق انتشر، وعلى الحق اجتمع، فعلى الحق جمع. لقد صار للحق وجها، وللحق بيتا، وبالحق أمة.

نؤذن للصلاة بإقامة وما أقمناها. ونؤذن للفلاح بقيام وما قام. إن الصلاة صلة بين العبد وربه. وليس عبدا من لا رب له. وليس ربا من لا عبد له. فمن عرف نفسه عبدا وجب عليه أن يطلب ربه.. أن يطلب ربه في نفسه تضرعا وخيفة. فإن طلبه صادقا في نفسه تضرعا وخيفة فقد أدرك سبيله، وقام في الحب دليله.. فإن لبَّاه - وهو ملبيه - فليكتم أمره حتى يبلغ رشده، فلا يجهر بالقول، ولا يخافت به، وليكن من أهل الإشارة، وإشارته بذاته قائمة بصفاته، وليبتعد عن العبارة ففيها فساد الأمر والخسارة.

إن تجمعنا ذاكرين للحق معنا، عالمِينه الذي فرقنا منه قديما، وفي قابل يجمعنا، أدركناه لنا في حاضرنا، وأدركانا له بحاضرنا، حي في حياتنا، قيوم في قيامنا، نحن فيه للغافلين أعلامه، وللسامعين كلماته وكلامه، وللمبصرين وجوهه وسلامه، وللمتأملين آياته وقيامه.

عرفنانا عباده لوحدانيته من ورائنا محيط، وسعدنانا به أقرب إلينا من حبل الوريد، وقرأنانا كتابه قائما فينا بصفاته، فعَرفنانا وبالأكبر عرَّفناه قيوما على الكل وجه ذاته، قَريبا من الكل روح حياته فقدرناه واسعا بعظمته معلما برحمته يتسع ولا يتسع له بالأكبر، ويعلم ولا يحاط بعلمه في الأعلم. إذا نحن بهذا لأنفسنا لم نسوِّفه، وإذا نحن عن أنفسنا لم نبعده عرفنا أننا حملنا أمانة حقه بأمانة إقامة الحق في حياتنا.

يا أيها الناس. يا أيها الزملاء. يا أيها المحامون. يا أيها الأخوة. إنكم تحملون أمانة الله. أنتم كلمات الله، أنتم أرواح الله، أنتم أقباس نور الله، أنتم هياكل ومعابد وبيوت ومدائن الله. إن ذواتكم إنما هي هياكل ومعابد الروح.

طلب آدم منشود عوالم الروح وعالم الأرض

إن عوالم الروح تعبد الله كما تعبدونه، وتطلب الله كما تطلبونه. ولكنها تعرفه قريبا، وتحسه مجيبا، ولستم غيرهم بنفوسكم. وعالمكم ليس مغايرا لعوالمهم بصلتكم. وإمكانياتهم من إمكانياتكم. وإمكانياتكم من إمكانياتهم. وبينكم من هو مطلوبهم لمرتقاهم. وبينهم من هو مطلوبكم لمرتقاكم. إن أوادم عوالمهم مطلوبكم لمرتقاكم. وأوادم عالمكم مطلوبهم لمرتقاهم. ليس كل من في عالم الروح مجتمع على آدمه. فالسعيد منهم من عرف واجتمع على آدمه فأصبح له بيت، وأصبح له مأوى، وأصبحت له حياة.

وغير المجتمع على آدمه من الأرض لا يجتمع عليه في عالم الروح. فالحياة الروحية مواصلة للحياة الأرضية وتجمعاتها في قيود من الكسب والوهب فيها. فهي عالم البدء للحيوات الروحية.

أما البعث من الحياة الروحية إلى الأرض فإنه يقوم متصلا باليقظة إلى ضرورة الانتساب إلى بيت لآدم معروف عند طالب العودة أو العودة في غفلة عن هذا إلى الاعتماد على النفس في الاختيار والركون إلى العمل في التواجد. وفي هذا يكون تكرار للتجربة، ومواصلة للمجاهدة وإن لم يضع الجهد في النمو الذاتي وكسب بعض الصفات.

وبذلك كان التجمع على النجوى في الله في هذه الأرض أو في عوالم الروح أهم ما في العالمين من السعادة والكسب وتلمس الطريق القويم. وكان اجتماع المفردات على أوادمها في هذه الأرض، أو معرفة الأرواح لهذه الأوادم مشرقة من الأرض ببيوتها، واختيار هذه البيوت لأنفسها للتوالد منها في طريق العودة والبعث لاستكمال مقومات الكينونة، هو أثمن ما في العالمين عن كسب الحياة وورود أحواضها. وكانت الوحدانية في الحقيقة هي في الوحدانية مع آحاد العباد من أوادم الحقيقة وأسماء الله.

أنتم قيام الحقيقة فلا تقطعوا أنفسكم عنها

اعلموا يا إخواني أنكم لستم الهياكل، ولكنكم العباد في الهياكل. إنكم لستم ما هو ظاهركم ولكنكم ما هو معناكم المالك لظاهركم من ذواتكم وهياكلكم. إنكم روح الله، إنكم أسماء الله، إنكم أعلام الله. إني أعطيكم عندي هذه المعاني على إطلاقها، لأنها قائمة بكم على إطلاقكم. إن الله لا شريك له وأنتم عند المؤمن به لا تشاركوه ولن تشاركوه بقيام يقوم رغم إرادته، ولا تخالفوه ولن تخالفوه بحقيقة منعزلة عن حكمته. جعل في فعلكم إرادته وفي إدراككم حكمته. لا طاعة ولا معصية فيه، ولكن الطاعة والمعصية من أوصافكم فيكم.

الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية

إنكم أطعتم أم عصيتم في نعتكم فإنه يعلم سركم ونجواكم، وهو في كل أمر يتولاكم. إن الذي ينبهكم إليه أن القطيعة منه والعزلة عنه هي ما يحذركم منه، فإنها تسير بكم في طريق خاطئ، طريق الشرك به - ولا شريك له - وهو ما لا يغفره. إنه المربي الكبير، إنه المعلم الهادي لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة. ولكن المعصية تضر آتيها إن لم يكن له فيها كسب الحكم على النفس بالنقص والقصور، والحكم للرب بالكمال والغفران. والطاعة تنفع صاحبها ما لم يشبها ما يعيبها من نسبتها إلى الوجود الناقص للنفس دون الوجود الكامل لها بالقائم عليها. فلا تغركم طاعتكم إن أطعتم، ولا تنسبوها إلى

أنفسكم بما قدرتم، فإنه أظهر وصف الطاعة من معنى الخلق فيكم ليعلمكم أن كل ما في السموات والأرض إلا آتيه طائعا مسلما، يوم يأتيه في الاجتماع على عبده مجتمعا فيه كل من في السموات والأرض.

معكم أينما كنتم

وهو إذ يتركم إلى حين، تظنون أنكم قد اخطأتم السبيل، وفقدتم الدليل، فأسأتم المسلك وغابت عنكم الحكمة والتعليل، فهذا من حكمته بكم وهديه لكم. فإنه ما تركم ولن يتركم أبدا. فما تخلى عن وجودكم وجوده أبدا. فما تخلى عنكم يوم ناداكم من آدم إليه فأجبتم ويوم ناداه منكم فأجاب. إنه معكم أينما كنتم. إن زلت بكم القدم من أنفسكم هاوية إلى أعماق الأرض فهو معكم. وإن تماسكتم فتصاعدتم إلى عنان السماء فهو معكم، يبدل بكم الأرض غير الأرض، ويغزو بكم السماء ويبدلها لكم غير السماء، ويسجدها وأهلها لكم خلفاءه في الأرض، بسمو عقولكم سموات أعلى، وبقدرات أرواحكم حقائق من كماله إلى أكمل فإنه لا يفارقكم بمعيته، ولا يتخلف عنكم برحمته، فما خلقكم إلا لنفسه ومعانيه من قربه وتعاليه، ولذاته بالفناء عن غيره، والبقاء به فيه. وهو بالغ فيكم أمره إلى ما يرتضيه. لا يفارقكم بهديه، ولا يخرجكم عن رحمته، حتى إذا ذهبت بكم الأوهام كل مذهب فوهمتم كل ذلك لكم دون تعبيد أنفسكم له. فإنه معكم أينما كنتم وكيفما كنتم.

لا تتوهموا الاستقامة أو تكونوا من المتكبرين

ولو شاء في يومكم لهدى الناس جميعا. فلا تستعلوا على الضالين وإن نشروا ضلالهم جاهدين وبظلام أنفسهم مستكبرين. واخفضوا جناحكم لهم هادين إن وفقتم أن تكونوا بنوره سارين، وبروحه هادين، وبوصلته عاملين. وأشفقوا بإخوانكم من العابثين لأن دورهم في الاهتداء والهداية سوف يأتي بعد حين. ولا تيأسوا منهم فقد يأتي على يد المصلحين، فأصلحوا أمركم، وأصلحوا بين إخوانكم في محبة وإشفاق ولين، وتخلقوا بأخلاق رب العالمين، ظاهرة في كل رسول أمين، وعبد بالعبودية قمين. استمعوه يخاطبكم إذ يقول لموسى وهارون {اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى}[٥]. إن اللين هو سيف الله المسلط على الكبر في المستكبرين وماء الحياة من الله للخاشعين.

إن الله لا يحب المستكبرين المتعالين فهم عنده السافلون الأسفلون، ويحب المتواضعين وهم عنده العالون المرفوعون. أما عظمته ففي كونه في عليين، هو في أسفل السافلين. إن الله مع كل كائن، ومع كل وجود، وفي كل حين. وهو في عليين من كانه، وفي أسفل سافلين من سوف يكونه. وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه، والملأ الأسفل يفتقدونه كما تفتقدونه. وما تواجد في الوجود شيء

دونه. فإن عرفته ربا ففيك. وإن عرفته إلها فإليك. وإن عرفته حقا فحالك. وإن عرفته الأكبر فمآلك. لا تغيبه عن وجودك. ولا تغيبه عن شهودك. فهو غيبك إن حضرت بعبوديته، وأنت غيبه إن ظهرت بوحدانيته. إنه ظهور الماضي بالحاضر، وغيب الحاضر بالآتي، وظهور الآتي في الماضي. إنه دورة الحياة ودورة الزمان. إنه غيب الإنسان وحاضر الإنسان بقدر ما أقام الناس أنفسهم فيه بوعيهم عنه، طالبين قيامه بأنفسهم لأنفسهم بوصلتهم بمن قامه من أنفسهم عاملين جادين حتى يرزقوا الصفاء ويلحقهم الاصطفاء.

{أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}[٦]، هذا هو الحق الجدير بالطلب. وهذا هو الحق العزيز على الطلب. وهذا هو الحق الميسر للطلب. هذا الذي أقرر هو بين أيديكم في كل كتاب قدمته السماء على لسان رسول من رسلها، بعث بينكم بقديم تجاربه. وهذا الذي أقدم لكم إنما هو من ثمار الفطرة، وتجول الحكمة، وثمرة العمل، ووصف المعرفة، وقيام الوعي يسنده العلم والمنطق والتبليغ والسنة. ولا أريد أن أسند هذه الحقائق للحق والعدل الإلهي باقتباسات من منقول القول في الأديان ابتعادا عما يثير أعاصير التعصب الأعمى في قفار النفوس المظلمة. ولكني أريدكم أن تعملوا معي عقولكم فيما تسمعون اليوم، فتأخذوا بالمعقول لكم الآن، وتتركوا إلى حين ما تقدرون اليوم أنه لكم غير معقول. فليس فيما أقول إلا ما لا يتعذر على العقل قبوله، ما انطلق من سجنه سجينا في رءوس الآخرين الذين لا يعملون عقولهم، ويطلبون ويعملون على متابعة الناس لهم، ويفتحون للآخرين رؤوسهم، بما حوت من غث أحيته وثمين جيفته، ويتصيدونهم في السجون الحية من رؤوسهم.

تتحد البشرية في المظهر وتختلف في مراتب الجوهر

إن ما هو معقول عند كائن منا، قد يكون غير معقول عند آخرين من الكائنات البشرية منا. أي أن ما تدركه نفس قد يكون غير مدرك عند نفوس. إن الكائنات البشرية وإن اتحدت أو تساوت في مظهرها من مصدر الجلباب من الأرض إلا أنها متلونة ومتعددة في الصفات والإمكانيات بألوان مصدرها من ضوء الطيف الشمسي الذي امتصته مع ما صدر منها من أعمالها المردودة عليها بقوانين الحجز والرد من طبقات التأين المحيطة بالذات الأرضية، وردها للطاقات المنبعثة من مصدر الحركة والحياة الأرضية إلى منبت صدورها من مجمع تجمع الذرات المتحركة في عوالم الكائنات البشرية من ذوات نفوس الإنسانية القائمة في وحدة الحياة الأرضية.

وهذا هو سر تلوين الكائنات البشرية في الصفات وتعدد هذه الألوان، كما هو سر تفاوتها في قدراتها وفي نوع الطاعة الصادرة عنها على انتظام وتناسق ونمو في القابلية والصدور. نعيش في مجتمع منبسط

على سطح الأرض الممهدة من حيث الذوات، وفي صورة هرمية متصاعدة أو غائرة في بطون الأرض من حيث عقولنا ونفوسنا. تجمعنا وحدة متماسكة من حيث حقيقتنا الخلقية بآدم والحقية بالإنسان، أبناء وبنات له في تزاوج خلقي، من حيث الذات والنوع، وتزاوج حقي من حيث النفوس والعقول. فلا يصح ولا يجوز ولا يمكن أن ينفرط أحدنا عن الآخرين، أو ينكر عليهم معاني الصلاحية لما صلح به إن صلح، ولا يبخل عليهم بما عنده من صفات ومعاني الحياة إن وجد.

إننا نتعارف بما عندنا بما يظهر على كل منا في المعاملة والحديث. فلنحسن في التعامل بصفات الإحسان من صفاتنا الإنسانية، ولنتحدث بمعانينا من العرفان عن المعروف بظهورنا في وجودنا من وجوده.

لا منافقين ولا مداجين ولا مختالين، ولكن في تواضع الصادق وإيثار المتحقق. ولنتواصى على الحرص برباطنا من الحق وما يقتضيه تحقيقه من الصبر.

إننا إن فعلنا ذلك فقد طلبنا الحقيقة وتاجرنا معها بعنا واشترينا، بعناها أنفسنا واشترينا نفسها، فحصلنا بما كان في ملكيتنا وبما هو من مكنتنا على ما هو في ملكيتها وما هو من مكنتها، حتى نتوحد فيها اسما لها وإنسانا لحضرتها.

إننا إن تواصينا بذلك وتقاربنا عليه وتحابينا فيه وعملنا به، كنا مواطنين صالحين لوطننا، وكنا وحدة صالحة لأمتنا، وكنا مفردات وجماعات مثاليات صالحة لبشريتنا، وكنا حقائق ووجوها للحقيقة للحي القيوم فينا، لعوالم إنسانيتنا. وبذلك نكون جنودا للحق، وجنودا للعدل، وأعلاما للحقيقة الإنسانية، وللعدالة الفطرية.

حديث للقلوب والعقول والنفوس

إني أتحدث إليكم الآن حديث قلب لقلوب، وحديث عقل لعقول، وحديث نفس لنفوس. وحديث القلب إلى القلب أدبه الصفاء مع الحقيقة، وأدبه الإيمان بالحقيقة، وأدبه الاعتماد على الحقيقة. أما حديث العقل إلى العقل فأدبه أن لا نتناكر على معارف بعضنا البعض، وأن يتقبل كل منا معارف أخيه على أنها معرفة تؤدي إلى مزيد أو أخطاء تؤدي إلى يقظة، وأن يكون هدف المتحدثين نشدان العلم. والعلم والجهل خلق قائم في الإنسان يعرف أحدهما بالمقارنة بالآخر. والإنسان في حقيقة أمره فوق العلم والجهل إذ هو مصدر لهما، وعنه يتواجد كلاهما. أما حديث النفس إلى النفس إن صلح، فأدبه الغيرة على الحق. والغيرة على الحق تقتضي العمل على إقامة الحق، القائم في النفس في نفوس الآخرين بالرغبة والسؤال والمجاهدة، كما يقتضي رغبة النفوس في التعجيل بإقامة الحق فيها على ما

شهدته في غيرها، سواء صدقت النفس أو صادفها التوفيق فيما رأته من الحق بها، أو تعثرت في ذلك، وكذلك النفوس المجاهدة صادقة فيما شهدته من الحق في غيرها، أو فارقها التوفيق في محل هذا النظر. فإن صدقت النفوس فيما هي فيه، فيكفيها كسبا صفة الصدق فيه، وإن بدا منها التنافر، فهذه الخصومة مرضية - ما كانت النفوس صادقة مع نفسها في الخصومة -. فالخصومة في هذه الحالة تحلو ولا تقسو، لأنها تكون مشربة بمحبة خفية لنصرة الحق ونشره من المتخاصمين، وهذا ما ينظم هذه الخصومة، ويجعل فيها لينا ورقة، لسلامة الهدف فيها، مما ينتهي بها إلى تلاق على حب، واتحاد على تناصر في الحق. ومن هذا القبيل ما كان بين أصحاب كل رسول من خصومة ومظهر تنافر في حياة رسولهم أو من بعده...

كل هذا يقوم في الناس، وكل هذا قائم في الناس فعلا. كل هذا دائم في الناس. كان بهم قائم في هذه الدار من دور الحياة، وما زال بهم قائم بعد أن غادروها لغيرهم، وخلف فيه خلف هو بهم قائم وعنهم لن يزول. ويخلفهم عليه خلف بهم يقوم، دواليك في سنة الله لا تبديل لها إلا ما بدل الإنسان في نفسه من أحواله يحجها إلى حال يطلبها.

فالناس يتجمعون فيتصلون ويتنافرون على أساس من هذه المعاني في مختلف معنويات الحياة. فإذا قاموها في تعاليم دين يؤمنون بمؤسسه وما حمل إليهم من حكمة ووسائلها، تواجد بهم مجتمع صالح للحياة وبداياتها ومواصلتها. مجتمع متماسك على اختلاف ألوانه. متكامل وإن اختلفت اتجاهات جدرانه. متناسق في ازدواج أركانه. متعالي في تصاعد طبقاته. متداني في حرية لبناته.

إذا صدق الناس أنفسهم في دينهم، فالحق واحد لا تعدد له. والقادر قدرته شاملة، بها قام كل قادر، وإليها لجأ كل فاقر. والديان واحد، قائم في ضمير كل متدين. هو معاني الحياة في كل حي. وهو فيض الحياة من القيوم على الأحياء من مظاهر الحياة.

كل حديث أو دين هو وعي مؤسسه ومحصلة عصره

جاءت كتب إنسانية السماء لإنسانية الأرض في لبنات بيت الحق من الحكماء والهداة، والأنبياء والرسل، والأئمة، بزوايا البيت المتزاوجة في أولي العزم منهم. كما جاءت حقائق الصفات الإنسانية وألوان المعاني للحياة الواحدة المتواصلة في البعض الآخر. فجاءت كل رسالة بشيء من الحق يتناسب مع عصر مولِدِها، وقيومية مؤسسها، وقابليات قومه، وفيوضات قيومه، وقابلية همته، وسعة ربوبيته، وصفاء عقله، وحصيلة معقوليته. وبمحصلة هذه الحقائق في الرسول يقوم الحق عليه، ويظهر به ويتصل منه.

فما جاء به كونفوشيوس، وبوذا، وحكماء الشرق من الصين والهند إلا وجه من وجوه الحق. وما جاء سقراط وأفلاطون وحكماء الغرب إلا بوجه من وجوه الحق. وما جاء آدم ونوح وإبراهيم وأبناؤه من الكتب والكلمات إلا وجوها من وجوه للحق. وما كان عيسى إلا وجها من لانهائي وجوه للحق. وما قام محمد إلا أمرا جامعا لأمور للحق.

البشرية كظاهر لباطن من الروح، تجمعها وحدة الإنسان، عالم الغيب والشهادة، في ذاته من الظاهر ونفسه من الباطن، إنما هي جماع هذه الحقائق، وفي تجاوبها بالحديث والرأي قامت هذه الرسائل. فعلم الإنسانية عن نفسها هو علمها عن الحقيقة. ورسالات الأنبياء، والعلماء والأئمة والحكماء، هي الصحو الجزئي في مفرداتها، بعامل التوجيه من المعنى الكلي لها. ولا يختلف في هذا نبي عن نبي، أو إمام عن إمام، من حيث المبدأ، وإن اختلف من حيث القسط من الوعي والهمة من العمل.

رسالة الفطرة ورسالة الكتاب

ولكل رسول رسالة كتابية، ورسالة فطرية، وما الكتاب إلا وعيه الذاتي وما الفطرة إلا أحواله التقدمية. وليست أحواله التقدمية المنتجة لوعيه القائم، إلا بعث قديم حيواته، بتجاربه ومشاهداته، من خلال فطري ذاته، قدوة وأسوة لعصره وما يليه، حتى يتجدد من الناس للناس جديد بمزيد من معانيه.

بدأ آدم النبوة رسالته لنفسه بنفسه من نفسه، وتابعه عليها أبناؤه لأبنائه حتى إبراهيم الخليل لأبيه آدم، إذ جعلت النبوة والكتاب في بيته، حتى ختمت بعيسى من ولد اسحق قيامة لبني اسرائيل، وبمحمد من ولد اسماعيل، بدءا وتمهيدا لدورة إنسانية، وبعثا لآدم في دورة آدمية، وقياما لمعاني العبودية الحقية للكافة، بسماح الحق الإنساني لنفسه بالاجتماع على من يطلبه حق طلبه من عموم الناس من البشرية والجنية.

وما جاءت النبوة قبل عيسى ومحمد إلا برذاذ بالنسبة لما تساقط على البشرية من بعدهما من المعرفة، سواء عن الذات البشرية وما يحيط بها من ذات الكون، أو عن غيبيات الذات البشرية، وغيبيات الذات الكونية. فأنبياء البشرية من العلماء الذين حلت فيهم روح القدس، ففاضوا بكشف أسرار النفس وأسرار الوجود، قدموا للبشرية وللزمن كل جليل من الحقائق عن قدسية الوجود، وعن قدسية الإنسان وحقيته. وما كان جهادهم إلا مواصلة لقديم الجهاد المتصل من الإنسانية لكشف القناع عن بصائر الجنس في مفرداته وجماعاته، تمهيدا لوحدته على الحق في معناه، وتمهيدا لقيامه بالعدل على مفرداته وجماعاته.

فالرسالة الفطرية المنبعثة من الجنس الإنساني إلى مظهره بالبشرية، والتي جددها محمد بقيامه أسوة للناس، وبتعاليمه طريقا للكافة، وبأمته جديدا له وقياما به، وقامها عيسى آية للناس، ولما يفعل الحق لطالبيه في مفرداتهم، رسالة لا يلحقها الموت، ولا تبلى بمرور الزمن. ولكنها تتجدد مع تجدد الناس، وتتطور أساليبها مع تطورهم...

فالربوبية في رسالة الفطرة هي الملأ الأعلى بقيامه على هذا الملأ. وهذا القيام يأخذ صورة الرعاية والتولي بالعناية، بوصف السيد على المسود، في أقرب صورة للبساطة، وبوصف المعلم للمتعلم، وهي صورة أرقي من صفة السيد بالمسود، وهي صلة أكثر طمأنينة وأقرب ودا، أو صورة الأصل مع الفرع ممثلة في صورة الأب مع الابن، وهي صورة أوثق في الصلة، وأكرم للمدعو وأرحم من الداعي، أو صلة الاتحاد ظاهرا لباطن بالوحدانية.

فإذا كان الأصل هو الحق، والأصل لا يتعدد، كان الفرع هو العدل، والفرع قابل للتكاثر والتعدد، وهو بتعدده محل لحقه لقيام العدل بين مفرداته. فإذا قيل لنا (كل مولود يولد على الفطرة)[٧]، أو قيل لنا (العقل أصل ديني)[٨]، أو قيل لنا الإسلام للحق دين الفطرة، وأن الحق من وراء الكل محيط، وأقرب لكل نفس من حبل الوريد، كان في إقامة العدل من الفرد على نفسه تمهيدا لظهور الحق له فيه، ولظهور الحق به لعانيه، من الكون والحقيقة. فالضال يُهدى ما استهدى، واليتيم يؤوى ما طلب أبويه، والسائل يُسقى ما أدرك حاجته للحياة - ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه. ومن أووي فإنما يؤوى لبداية من أصله. ومن يُسقى فإنما يرتد إليه مرضي عمله. فمن ذكر ربه في نفسه ذكّره ربه بنفسه أقرب إليه من حبل الوريد. لا يفتقده بحسه، ولا يجهله بعقله، ولا يفتقره بإدراكه، ولا يشرك به، ولا يتعدد معه، ولا ينفصل عنه، ولا يتصف عنده، ولا يحاط به، ولا ينفك عن إحاطته به، موجود لا يغيب، وغيب لا ينقطع. الحق وصفه، والرحمة قربه، والعدل شيمته.

إن الذين يؤمنون بالفطرة قياما، وبرسالتها دواما، يؤمنون بأنها الحق وراء كل رسول، وأن رسالتها لرسالات الرسل جماع، وأنه لا ييأس من الروح متصلا مخاطبا مبينا هاديا معلما إلا القوم الكافرون. وها هي الفطرة وراء رسالة الروح تظهر وتنتشر.

الرسالة الروحية اليوم هي رسول الفطرة لنا جميعا

إن رسالة الروح رسولا للفطرة اليوم لا تفرق بين أحد من رسلها، ولا بين كتاب من كتبها، ولا بين أحد من أبنائها. فالحق عندها، والحق بها، لا يتسع له عصر واحد، ولا أمة واحدة، ولا كتاب واحد، ولا تبليغ واحد، ولا تجربة واحدة، ولا محنة واحدة، ولا رسول واحد. فنهاية المعرفة إلى

بيوت الآحاد من الحقائق، الظاهرين بمعانيهم من معاني العبودية، للانهائي رحمته ولانهائي العلم عنه، من حقائق معانيهم، من لون قيامهم به، اتحادا يمسح الشرك ويحقق المغفرة ويدرك الوحدانية. يشهد به المؤمن (الإياك) نعبد في عين الأنا ممحوة أو مسيحة. ويرى القبح في الشرك بالأنا، والجمال لبديع السموات والأرض بوحدانية الهو، فتتحد الغاية من الدين وتستقيم الطريق إلى اليقين، إذ نعرف أننا بنا مخطئين. وأننا به مصيبين. وأننا إلى الحق في جلبابه من أنفسنا سارين. وبرسوله في عقولنا مهتدين، وبوحدانيته في ضمائرنا موقنين. وأن الهلاك في عزلتنا عنا، وأن الحياة في اجتماعنا بنا، وأن من سبقنا إليه فيه هو لنا قبلة، ولنا بيت، ولنا له وجه، ولنا معلم، ولنا يد ممتدة لمعاني جماعنا في حال اجتماعنا، ولنا مرآة لأنفسنا.

إن رسالة الروح، رسولا للفطرة اليوم، تفتح لهذه البشرية باب الرجاء وتغلق دونها باب اليأس والقنوط، كما تهيئ لها طريقا مستقيما إلى غايتها من الحق تبحث عنه بغريزتها أصلا له وفرعا عنه، وتكشف الستر عن أرض البدء.. أرض ما قبل آدم.. مجتمع البشرية.. مجتمع الناس.. مجتمع ما قبل آدم.. مجتمع الطلقاء المكلفين.. مجتمع العلماء الجاهلين.. مجتمع الجهلاء العالمين.. مجتمع الطبيعة.. مجتمع الفطرة.. مجتمع هو أرض آدم، منه يَصطفي بذرته، وفيه تزرع شجرته حب الزرع وحب الحصيد، مقبول فعله، مستور عيبه، مغفور ذنبه. منه يتواجد آدم، وفيه يبعث آدم، وبه يتحقق آدم، وعنه ينشق آدم، ومنه يأخذ آدم ملأ حضرته، وإليه يعود آدم وملؤه. فهو لآدم بدؤه، ولآدم كماله، ولآدم أبده وأزله، ولآدم جدته، ولآدم كنزيته. به يتحقق لآدم للغيب عبوديته، وللشهادة ربوبيته، وعن الكون ألوهيته، وعلى الكون عظمته، بتجديد إنسان صورته. به يبرز جلباب ذاته، وجلابيب صفاته، ليقدم رحمة أبوته، ويمتد بلدني علمه، فيوحي في الأرض أمرها، وفي السموات أمرها، قائما بعظمة عبوديته في مملكة عطائه، جمالا لقيومه، وكلمة من قديمه، هي وجه لمستديمه.

مجتمعنا هو مجتمع الفحم والماس. الخلق والحق. الناس والمحمدية)

هذا المجتمع البشري على هذه الأرض هو مجتمع الظلام الدامس بين مجتمعات النور المتلألئ، من سكان الكواكب وعوالم الروح، هو مجتمع سر الألوهية، ومجلى الربوبية، وعظمة العبودية، وتفاهة الغيرية، وسر ما وراء الشيئية، وأصل وكتاب الكونية، وقدس وشرف الوجودية، وظهور وجمال العلمية على معلوم الإنسانية، والتعريف عن رحابة الروحية، وسعة الألوهية، وعلى شمول الرحمة، وعموم النعمة. إنه منجم الفحم والماس للإنسانية. لقد جُعل في خاتم النبيين وأول العابدين، وذكر الله ذاتا، وبيتا، وجمعا، ووجه جلاله وإكرامه وكرمه للناس كافة، ومظهر معنى ذات الحق، وروحه من الله للعالمين، عبدا لربه من الله، وربا للعالمين من الناس، مثالا لما يخرج من منجم الفحم من جوهر

الماس سراجا في زجاجة تعكس وتشع من نور الإطلاق من موجود الوجود من الله، علما عليه، ورسولا منه، وعبدا له. جعل فيه أسوة للكافة، وطريقا مستقيما لا يختفي عامله، ولا يضل أمره، ولا يفتن صادقه، ولا يرجع عنه طارقه، ولا يتوقف عن الرقي سالكه، ولا ينتهي عن الامتداد صاحبه. أساسه قيام الله على كل نفس، وكسبه قيوما بقيامه بكل نفس، مذكورا في النفس من كل نفس، لا شريك له، ولا وجود بحق لغيره. يعرف ربا لعباده، ويعرف منزها لموجوديه بتوحيده ووحدانيته.

هذه هي رسالة محمد بالفطرة، كانها، وقامها، وتجددها، وتكاثرها. تكاثرها قبل ظهوره رسول الله وعبدا لله، وتكاثرها بعد ظهوره دواما لرسالته بوجوهه، وتكاثرها في قيامه بعثا لقديم عبوديته، وانتشارا لرحمته، رحمة من لانهائي ربوبيته.

هذه رسالة الفطرة قديما مع آدم تجددت مع قدمه محمد، عرفها بكتابه وسنته. فيها يولد كل مولود على الفطرة لا يُسأل عن فعل الآباء والأمهات. ضرب فيها ابن مريم مثلا لمن يرتضي الله من عباد يكرمون ويرتضون من الله ومن الناس، فيتابعون متابعة للحق الظاهر من الحق الرسول لإنسان ورب العالمين. فالكل للحق من العبودية الإنسانية أبناء. الكل لإنسان الله أبناء. الكل للأبوة الإنسانية أبناء. فتعالى اللانهائي عن الصاحبة والولد. أما البيت به يذكر اسم الله فهو بيت الإنسان، فيه حقائقه وحوله لطائفه ودقائقه.

الله هو السلم وهو السلام وهو في أعماق كل قيام

هذا هو الحق على ما يجب أن يعرف لنا في أنفسنا ومن حولنا. وإن ما نرانا من الحياة فينا ومن حولنا، ماثلة في الأحداث الصادرة منا والصادرة ممن حولنا، وما نقع تحت تأثيره من نزوات زاعمي السلطان الظاهر، وأدعياء التوجيه الصالح، تجعلنا في حرمان شبه كامل من عوامل الحياة المستقيمة. وهذا فيه التعليل الصحيح لعلة ما نراه في عالم الحاضر من قلق شامل يقض المضاجع وينزع السكينة من نفوسنا، يحرم عقولنا ما يصح لها من الأمن والطمأنينة، ويجعل سفينة الحياة التي نسافر عليها إلى دار مرجوة الخير مضطربة المسير، لا تحسس أنظارنا لبحر الحياة شاطئ سلام، أو بر أمان. فما بالنا وقد دب بين ركابها الخلاف والخصام، وأصبح السلام بعيدا عنها وعن مجتمعها في حال سفره، وأصبح الخطر من عوامل العدم يتهدد عوامل الحياة والنجاة لها من الداخل ومن الخارج.

إن هذا الذي يمتنع علينا توفير أسباب السلام من حولنا وفي أنفسنا إنما يرجع لتعطيل عوامل الحق والإخلال بموازين أنفسنا فاختلت العوامل والموازين من حولنا، لأن الإنسان كما هو صفوة الحياة هو

أصل الحياة أيضا، والكون بمادياته خاضع لقوانين الطبيعة، وهذه بدورها خاضعة لتدبير الحكمة، والحكمة مصدرها مظهر الرحمن، وظاهره من الإنسان العلم على المعلوم من الحق من الله.

حقائق الله دائمة التواجد فاعملوا لكسبها

فلو كان لنا إلى معاني الحق فينا أهداف، لتجدد فينا سليمان بحكمته وسلطانه، ولتجدد فينا عيسى بوصلته وعنوانه، ولتجدد فينا محمد بسنته وبيانه، ولتجدد فينا موسى بسماعه وآياته وإبداعه، ولتجدد فينا إبراهيم بخلته ونبوته وأبوته، ولتجدد فينا نوح بسفينته ونجدته وخلاصه، ولتجدد فينا آدم ببيته وقدسيته، ولأدركنا بعث كل هذه المعاني والحقائق في طالبيها ومعتقديها من جميع الناس في كل وقت وعلى صورة الدوام، فشغل الناس أمر أنفسهم بدل أن يشغلهم أمر استغلال غيرهم وهم في غفلة عن الانتفاع بأنفسهم. ولكن الناس هم الناس، كلما جاءهم رسول من أنفسهم استكبروا، فريقا كذبوا حتى إذا فارقوهم بالموت يصدقون، وفريقا قتلوا حتى إذا ما واروهم التراب عادوا يولولون.

إن الناس هم الناس على ما أخرجتهم الأرض، كلما جاءهم ذكر محدث من أنفسهم، حصيلة أعمال الصالحين من آبائهم ترد إليهم عملا مرضيا من عنوان الحياة بهم، يعرف الله وينطق به ويعنون معاني الحق منه، استكبرت أنفسهم بما فيها من ظلام الأرض، يعبدون أنفسهم ألفاظا ورسوما، ويغفلون أو يتغافلون عما فيهم من معاني وجواهر الحياة، يفقدونها بعزلتهم عنها، وإنكارهم عليها وهي الحق من الله لهم.

الله هو الحياة. الكل له وجه على ما نعتقده ونحياه

إن الحي القيوم من الله بالإنسان هو معاني الحياة، يحياها كل حي من الناس من الأصل الإنساني القيوم عليه بالحياة. فالإنسان بقيوميته وبحياته وحدة للحياة لا ترسم برسم، ولا تُعَنون باسم، ظاهر المعروف بلا اسم والموجود بلا رسم. إنه الحقيقة لا يتميز فيها صاحب سلطان بسلطانه - وإن عدل - أو صاحب علم بعلمه - وإن وصل - إذ الله من وراء الكل محيط ولا يفقد معناه منها جاهل - وإن ظلم -، ولا عاص - وإن أظلم - فالكل له وجوه، نضرت أو قترت، نارت أو أظلمت، فهو القائم على كل نفس بما كسبت علما على ما عَلِمت وعلَّمت، علَما على ما قامت وأقامت.

إنا نطلب الله واحدا لا تعدد له، ونعبده في وجهه من كل إنسان، ولا نعبده في فرد وإن وضع الرؤوس تحت الأقدام، فلله وحده عنت الوجوه. والأيام يداولها بين الناس للاختبار وظهور الإحسان. فهذه هي عبادة الله على ما يليق بعبادة الله. إن نظرنا وجوها متميزة تابعناها وأحببناها فعباد معلمين، وآباء راحمين، وأخوة قانتين، يفتحون لنا كنوز قلوبنا لنرى الله معنا. هذا دين الفطرة

جاء به الأنبياء ومن قبلهم ومن بعدهم الحكماء والعلماء، دينا لا يعرف دين السلطان، ولكنه يعرف أن السلطان كله للرحمن. ويعرف أن العبودية لله هي كل السلطان وكل الإحسان وكل الدين. فلا ضعف ولا استكانة ولا ذل مع غيره، وأن العزة والقدرة والشرف والكرامة في كل ذلك معه. الحاكم والمحكوم له وجوه وله سجود. لا شريك له من موجود، ولا ينظر معه غيره في الشهود، أينما نولي فوجهه. هذا حقه والاستقامة عليه كسبه، والغفلة عنه فقده، وفي ذلك حكمه وعدله.

لا تعمهون عن حديث الله. فتناجوا بينكم فيه تكتب لكم النجاة

إن الله بحقيقته هو المتكلم على لسان كل قلب يقظ، وكل عقل مشرق، وكل نفس زكية. إن الله هو المتكلم في كل حكمة سديدة أو فكرة رشيدة يمكن أن تدرك، أو أن تقوم مدركة بين الناس. لقد أضعنا رسالات السلف من الأنبياء ورسالات المتجدد بيننا من العلماء، كما أضعنا كلام الحق من الإنسان إلينا، بتجاهلنا أو جهلنا أن الله هو المتكلم في كل علم، وهو الظاهر فيما أظهر من أسرار الوجود.

الإنسان بين معاني الشرق والغرب إنما يتقلب بين البدايات والنهايات

إننا نشهد ما يقدم بين أيدينا الآن من حكمة الغرب مبعوثة فيه من الشرق الذي قبرها بعد أن عنونها زمنا. ونشهد من علوم الغرب ما يعطي بيانا لما أنزل على أسلافنا نحن أهل الكتاب من حكمة مع رسله منا، وعباده من بيننا، فلا نلتفت لذلك، ولله المشرق والمغرب، وشجرة نوره من الجنس لا شرقية ولا غربية، ولكنها أمة وسطا به عدت عربية، جديدا لقديم من آدم البشرية. فإذا أظهر رب المشارق والمغارب حكمته مشرقة من مغرب جعله مشرقا، فلا تغشي عنها إلا عيون قلوب منقبرة بما توارثت من غفلات الآباء، عما كان حقا مدركا عند آبائهم من الأجداد. فهلا استيقظ الأحفاد، فتجاوزوا الآباء إلى الأجداد، فأحيوا منهم الأبدان والأبناء؟

في الشرق الغث والثمين، وفي الغرب الغث والثمين. لقد أخذ الغرب منا يوم سدناه الثمين، وترك الغث، فسادنا بما أخذ منا. فلما سادنا أخذنا منه الغث وتركنا الثمين، فما زلنا نتعثر في خطانا.

ها نحن نرى في كل ما يصدر عن الغرب من مستحدثات الصناعة في المواصلات والطب والحاجات المعيشية المختلفة، ومجالات الثقافة والتسلية الدقيق العجيب المعجز، وهو ما يذهب وجه العجب منه ويدخله في دائرة الإمكان العلم والتطبيق والصبر على التحصيل والتجربة.

ولكل وجهة هو موليها

إن للغرب رسالة كما كان للشرق رسالة. إن رسالة الغرب تقوم في تبين الحق في ظاهر الحياة، وإقامة العدل بمقاييس الحق من ظاهر الحياة. كما كانت للشرق رسالة تقوم على معرفة الحق باطنا لظاهر الحياة، وإقامة العدل على تناسق الظاهر مع الباطن من الحياة. وإن للشرق والغرب رسالة يوم يجتمعان على الحق في الحياة بشقيها من ظاهرها وباطنها، فتدعى عوالم الكواكب إلى مشاهدة ما قام من الحق على الأرض، ويتمكن أهل الأرض من نشر معارفهم وحقهم في أهل الكواكب لوفرة قسط الأرض من الحق فيها وفي أهلها.

إن الإنسان على الأرض يحيا في أحد مدنيتين، المدنية المادية والمدنية الروحية. والمدنيتان تعيشان على الأرض بلا غيبة لأحدهما. ولكن إنسان الأرض بما فيه من غلبة التراب والظلام يندفع إلى أحدهما دون الآخر. والمدنيتان ضروريتان لرقي الحياة فيه، ومعناه جامع لهما في اجتماع غيبه على شهادته من اجتماع روحه على جسد لها، أو اجتماع جسده على روح له، ورقيه الذاتي ورقيه النوعي في تجمع مفرداته على المعنى الجامع لها مع وجه له، فيجتمع بذلك غيب المجتمع على شهادته فيصلح بشقيه من الغيب والشهادة، وهذا هو الحق المطلوب التعريف به، والعدل المطلوب للتذكير بضرورة إقامته.

إن الإنسان بشهادته أصبح ينتقل بسرعة الصوت والضوء. وهو بغيبه يرى في هذا بطئا في الحركة لأنه يستطيع الانتقال بصورة أسرع من ذلك لو تحررت إرادته من سلطان الطبيعة من جاذبية المادة وجاذبية النور، وتحررت من قيود الضعف من غريزة الطبيعة إلى صفات ومعاني الإنسان.

إن الإنسان بشهادته أصبح يعلم الكثير من أسرار الطبيعة، فأصبح يكشف لنظره ما يخفى على عينه بالتصوير تحت الأشعة الحمراء، وبالنظر لما تحت الأشعة السينية، وما شاكل ذلك مما تخفي أرض الأجساد أو أرض القيام من أحوالها، وما إلى ذلك من إمكانياته. ولكن الإنسان بغيبه ما زال يرى قصور شهادته. فهو لا يستطيع أن ينفذ إلى ما وراء الطبيعة سواء قبل قيام الطبيعة أو بعد قيامها، وهذا من صفاته لأنه بمعناه ما قبل الطبيعة وما بعدها إن كشف لنفسه سر نفسه.

إن الإنسان أجهد نفسه لتوفير أسباب الراحة لحياته القصيرة بالجسد. ولم يجهد نفسه قليلا لتوفير أسباب الراحة لحياته الطويلة بالروح. ولو أجهد نفسه لعرف أنه يستطيع أن يجعل من الجهد المبذول لراحة الجسد طريقا لسعادة وراحة الروح. فالحياة الطويلة ليس فيها عُملَة للتبادل إلا العلم والمعرفة. ووسيلة الحصول عليهما من الأرض أيسر، ومنالهما فيها أقرب. والمواصلة بالحصيلة أنتج وأثمر حيث عالم تقيمهما.

لو عرف الإنسان قدر نفسه لسعى إليه الصلاح والفلاح ولعاش مع سيد الطبيعة

إذا كنت أيها الإنسان قد وصلت بعلمك وبمكنتك إلى ما وصلت إليه، فكيف بمن هو معك وأقرب إليك من حبل الوريد، أينما كنت، وكيفما كنت، والذي مهَّد بما علمك لما سوف يعلمك؟ إن هذا هو النوع من الذي يجب أن نتحدث فيه، ومن العدل الذي يجب أن نوفره لأنفسنا، منصفة منا، حتى إذا ما صلح منا صالح به، وإذا ما انتشر هذا الصلاح فينا، كنا قوما صالحين بالحق، انتشر منا الحق في عالمنا وعلى أرضنا، فبدلت بنا الأرض غير الأرض، وبدلت لنا السموات غير السموات.

إننا نعيش على أرض لا نملكها وهي تملكنا. تملكنا لأننا تحت الطبيعة، ولأنها الطبيعة. وقد أوجدنا سيد الطبيعة فوق الطبيعة لأننا منه وإن أظهرنا من الطبيعة وهي مظهره.

فإذا قلنا نحن خلقنا لنكون عبادا لله، فلأي رب، ولأي حق؟! للواسع العليم، للكبير المتعال! إن الدين يطلب منا نحن الذين نقوم تحت الطبيعة، وقد خلقنا من الطبيعة، أن ندين بالولاء لسيد الطبيعة، فنسودها بطبيعتنا، ونقومها بنفوسنا وجبلتنا. فإن قام فينا في الله قائم به ما كان الله ليعذبنا وهو فينا، وإن أدركنا حكمته من خلقنا لنكونه فاستغفرنا من قيام أنفسنا مع قيومه، ومن قيامنا غافلين إلى قيامه موحدين، أمهلنا ما عذبنا ولا أهلكنا. ألم يقل لنا في كتاب إحاطته مع تام كلمته {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[٩] ألم يقل لنا كلمته وعبده عيسى (لا الدينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)[١٠]؟ ألم يعرِّف أنه من الحق والمؤمنون به منه فهم به من الحق، وهو في الحق وهم فيه، فهم به في الحق! فالناس بإيمانهم في كلمات الله وكلمات الله المخرجة هي من الله، والناس بها من الحق من الله. والله أكبر دائما. الله الأكبر من الروح، والأقدس من الذات في دوام من المعارج، ودوام من الرقي، وفي دوام من الطلب عند الملأ الأعلى وعند الملأ الأدنى.

لماذا تعطلون فعل الله وفعله ثابت لا تشابهه أحداثكم

إن الذي كلم موسى وجعله كليمه ما عجز عن مكالمتنا وجعلنا مكلميه. وإن الذي آوى محمدا وجعله يتيمه ما عجز عن إيوائنا يتاماه. وإن الذي نفخ في عيسى من روح القدس وجعله كلمته ما عجز عن أن يؤيدنا بروح القدس ويجعلنا كلماته. وإن الذي اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران فجعلهم عباده ما تعطل له فعل باصطفاء لآدم وآل لآدم، وأن يذهب الرجس عن أهل بيت لآدم، وأن يكرم أبناءً لآدم، يرفع ذكرهم، ويعلي أمرهم، ويعقد جمعهم، ويؤلف بين قلوبهم، ويمتد فيهم بروحه وبنوره، ويتمهم ويتوفى نفوسهم ويمسكهم بيده.

هذا هو الدين على ما جاء به كل مؤسس للدين. وهذا هو الحق على ما جاء به كل وجه للحق، قام بين الناس رسولا من أنفسهم. فهل مجتمعنا البشري على ما نراه في هذا العصر مدرك لذلك أو بقسط

وافر منه، أو مدرك لضرورة طلب ذلك والطواف حوله؟ إننا إن طلبنا ذلك وعملنا له، والحياة متعددة من حولنا، وهي أشد ما تكون حاجة إلى الحق والعدل، فهو السلام ننشده وهو السلم نفتقده.

لصالح من هذه الحرب المشبوبة.. ونحن لا نملك السلاح ولا نحسن الدفاع ؟!

إننا في حالة حرب مشبوبة في أنفسنا، قائمة بلا هوادة بين أبعاضنا من الضمير والوعي المصلحي، والعمل والاستسلام، والضعف والمجاهدة بين الرجاء واليأس، بين الحياة والموت، كما هي مشبوبة في بيوتنا بين الأب والابن، بين الزوجة والزوج، بين الأخ والأخ، كما هي مشبوبة في مجتمعنا بين الحاكم والمحكوم، بين الراعي والمرعي، كما هي مشبوبة في مدنية دنيانا المادية واقتصادياتها، ومدنية دنيانا المعنوية وألوانها وبين عقائدنا وعلومنا ونظمنا. نحن أحوج ما نكون لجنود الحق ولجنود العدل. نحن أحوج ما نكون لاستخراج الحق المطمور بين جوانحنا والعدل المفقود بين جوارحنا. لقد تعلمنا عن طبيعة الكون وكشفنا خوافيه، ولم نتعلم بعد عن طبيعة أنفسنا فنكشف شيئا عن خوافيها. عملنا للكفاية الذاتية للدولة الواحدة والوطن الواحد، ولم نعمل شيئا لخدمة قيام الكفاية الذاتية للكائن من الفرد البشري الواحد. تعلمنا وعلمنا كيف نحمي الشعب من نفسه والوطن من ضعفائه، ولم نتعلم أو نعلم عن حماية الكائن الفرد من نفسه ومن ضعفه. شغلنا ما لا نملك مما حولنا، ولم يشغلنا ما نملك مما فينا. ملكنا ما حولنا مما لا يخلد، وفقدنا ما فينا مما هو خالد.

تصارعنا على المعدوم المستهلك لنحوزه، وأفنينا الخالد من نفوسنا في سبيله. ولو تصارعنا على المعروف الخالد لنكونه وننشره، لأحيينا الخالد من نفوسنا، وأسلكناها سبيلها، بالدفاع عن الحرية في كل مجتمع كاملة شاملة عاملة. إن عقولنا لا ترفض الحق ولا تأبى العدل ولا تجهلهما في أي مستوى من مستوياتها، ولكن نزوات النفس والذات منا في سجن الأنانية ترفض الحق وتأبى العدل. وعلى أساس من هذه النزوات تقوم نظمنا وتنتظم مجتمعاتنا.

إن الكفر بالله، هو الكفر بالناس. وإن الشرك بالله هو الانفراد بالعمل دون هديه. وإن الحرب معه، هي الحروب بيننا. وإن السلام معه هو السلم ندخله في مجتمعاتنا. وإن الدين مقامة أركانه إنما هو في نشر السلام والمحافظة عليه، ومقوضة أركانه في هدم السلام باسم الحمية للدين أو للقومية أو للوطن أو للكرامة. واليوم نهدم السلام باسم السلام. مقولات لا موقع لها من قلوب القائلين بها، ولا موضع لها فيما يصدر عنهم من أعمالهم.

إخواني سادتي

لا تغيبوا ما عرفتم من أمر الدين. ولا تغيبوا الله ولا تسوفوه. ولا تغيبوا الجزاء ولا تسوفوه. ولا تغيبوا قيومية الحق عليكم ولا تسوفوها. ولا تغيبوا الساعة ولا تجاهلوها. فالساعة إن سعدتموها هي في قيامكم لمحة يقظتكم، وإن شقيتموها هي لمحة حياتكم، من عديد حيواتكم ستشهدوها وقد فقدتموها.

إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها.. وليكن الله هدفكم ومبتغاكم

إنكم من الله، وإنكم إلى الله، وإنكم في الله. وما هذه الحياة البشرية اليوم إلا ما قبل إنسان الحق ينفعل بإرادة الظهور فيظهر، وما هو إلا إنسانكم. هذه الذوات جلابيب مظهره يوم تحيا القلوب بهذه الصور لمتصورها، تتواجد به حياتها ومحركُها، وفي هذا ظهوره من غيبه، وسفوره من كنزيته. فلا تضيعوا هذه الفرصة، وتعرَّضوا لنفحات الله من بينكم، وازرعوا كلمة الله ما شهدتموها في أرض ناسوتكم من القلوب. واذكروا الله كثيرا في أنفسكم بها، تُجلى قلوبكم من ظلامها وتُطهر من رانها.

هذا هو الحق يا إخواني على ما أريد أن أتواصى به معكم، وعلى ما أحب أن تدركوه في أنفسكم. وإن ما أريد وما أحب، وما تريدون وما تحبون إنما هو من إرادة الله ومن حب الله. ولو تركت الأمر لقلبي يتحدث إلى قلوبكم ما توقف هذا الحديث بيني وبينكم، لأن القلب لا يعرف التوقف لفعله، كما لا يعرف البدء أو الانتهاء لإرادته، ولكنه يعرف البدء والانتهاء لظهوره. وإن في حديث القلب إلى القلب تقوم الصلاة، ويقوم الفلاح، وتقوم بالامتداد الحياة، وما قام بالقلب متصل لا انقطاع له لانهائي، وما يبرز منه من الحق لانهائي، وما ينتشر من عدله في وجوده لانهائي.. لا نهائي في عظمته وسعته، لانهائي في قيوميته وقربه.

أمرنا في الله هو الأمر الجلل وهو لب اليقين

فأمر الله معنا ميسر إدراكه، وغير خفي شأنه، وليس من العسير كشفه. فلا تعقدوا أموركم معه لأنفسكم. ولكن الأمر الجسيم، والشأن الخطير، والوضع الدقيق، إنما هو أمر النفس فيه، وأمر كيان الناس من كيانه، وقيامهم من قيامه، ومعناهم لذكره، ومعناهم لإرادته في كونه، وقيامهم بأمره، عباد قدسه وأعلام الأقدس في لانهائي وجوده.

والعمل للعلمية على الأقدس هو العمل لكسب العبودية له والقيام بحقيتها فيه. وهذا هو طريقنا المستقيم لا يسلك إلا باختيارنا وإرادتنا مظهرا لإرادته وحكمته. وهذا هو طريقه المستقيم ما عرفنانا منه وما قمنا به. وهذا أمر جليل تدور عليه حياة الفرد والجماعة والبشرية في جميع صورها وأزمانها وبقاعها. وما سميت هذه البشرية باسمها إلا بشرى بكسب معنى العبودية لقدسها في الأقدس من قيامها.

لا إكراه في الدين وبصيرتك فيك هي مفتاح اليقين

من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. فما مشيئتنا بالكفر أو الإيمان إلا مظهر مشيئته على ما أحكم من أمره في أمرنا. أفأنتم تكرهون الناس حتى يكونوا مؤمنين! لا إكراه في الدين تبين الرشد من الغي. فحرية الناس أساس استقامتهم في الدين. واستقامتهم في الدين أساس انتظامهم في المجتمع. وانتظامهم في المجتمع أساس قيام الحق فيهم وانتشار العدل بينهم. أعطى كل شيء خلقه، وهدى كل شيء سبيله.

نحن المحامون، جنود الحق وألوية العدل. ليكن هذا رائدنا فيما نقوم به من عملنا، ليكن هذا لب صلواتنا، ولتكن مكاتبنا صوامعنا ليستقيم به عملنا، ويطيب ويتزكى به رزقنا، وتنمو به عناية الله لنا، وتنتشر به عناية الله منا. به تستقيم أفعالنا في مجتمعنا كرواد له، ومعلمين فيه.

هذا هو الدين في المعاملة، وهذه هي الصلاة في الصلة، وهذا هو الحق في الخلق، وهذا هو الكل في الله. إن الله وراء الناس ما نظرناه، وإن الله في مواعين الأنفس ما لاقيناه.

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بوهم الدين، وبوهم اليقين وبوهم المعرفة، وبوهم الصلة إذ يعرفون سبيل الله كلاما تلوكه الأفواه وتقبله الآذان، أضل أعمالهم وفتن الضالين بهم، ومسخهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا في أمرهم، ولا إلى أهلهم يرجعون بكسبهم. ومن يضلل الله فلا هادي له، ولا ولي له، ولا مرشد له. والذين آمنوا بما أنزل من الحق وهو الحق من ربهم ممتدا، منتشرا متكاثرا ما ينسخ من آية يأتِ بخير منها أو مثلها، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم.

إن كلمات الله الطيبات هي شجرات جنسكم فاستظلوا بها

إن الذين آمنوا بكلمات الله لا انقطاع لها، ودخلوا في الحق ظاهرا بها، لا دينونة عليهم ما دخلوها، ولا خوف عليهم ما عرفوها، ولا حرمان لهم ما طلبوها، ولا احتجاب لها في أنفسهم ما جاهدوها. إنها كلمات الله المتصاعدة من شجرة الجنس البشري، كلمات طيبة من شجرة طيبة أصلها ثابت، وفروعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وما الشجرة الطيبة الثابت أصلها، المتصاعد فرعها، إلا أنتم في معاني اجتماعكم ووحدتكم. وما كلماتها الطيبة كلمات لله إلا مفرداتكم أصولا للجنس وأوادم لبيوت لله ترفع ويذكر فيها اسمه في معانيكم.

فاحرصوا يا إخواني على كسبكم في دنياكم هذه، واكسبوا أنفسكم كلمات لله مع كلمات الله تترى بينكم، في أخوة مرشدة لا تنقطع. ولا تبقوا أنفسكم في عزلة بذواتكم، وأقيموا الصلاة بالصلة بها، واعملوا للفلاح بكسب صفاتها، واستعينوا بالصبر والصلاة ميسرا لكم في يومكم، بعيدا عنكم في غدكم.

هدانا الله وإياكم سواء السبيل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ من مقولة من خطبة للإمام عليّ ـ كرم الله وجهه: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

٢ حديث شريف: "كما تكونوا يولَّ عليكم." رواه الديلمي والبيهقي.

٣ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

٤ حديث شريف: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي". صحيح البخاري

٥ سورة طه – ٤٣، ٤٤

٦ سورة الرعد - ٣٣

٧ الحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ" أخرجه البخاري، ومسلم مطولا باختلاف يسير.

٨ عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ا المحدث: العراقي. وصفه أنه موضوع، وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

٩ سورة الأنفال - ٣٣

١٠ إشارة إلى الآية: "إِذًا لَا شَيْءَ مِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ ٱلْآنَ عَلَى ٱلَّذِينَ هُمْ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، ٱلسَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ ٱلرُّوحِ. لِأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ ٱلْحَيَاةِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ ٱلْخَطِيَّةِ وَٱلْمَوْتِ". رُومِيَةَ ٨:١-٢